

روح المعاني

في يده فلأجده عفوًا كريما قال فجاء فأسلم وفي رواية ابن سعد عن أبي مليكة وأن عكرمة لما ركب السفينة وأخذتهم الريح فجعلوا يدعون الله تعالى ويوحّدونه قال : ما هذا فقالوا : هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله تعالى قال : فهذا له محمد صلى الله عليه وسلم الذي يدعونا إليه فأرجعوا بنا فرجع وأسلم وظاهر الآية أنه ليس المراد تخصيص الدعاء فقط به سبحانه بل تخصيص العبادة به تعالى أيضا لأنهم بمجرد ذلك لا يكونون مخلصين له الدين . وأياما كان الآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره تعالى في تلك الحال وأنت خير بأن الناس اليوم إذا إعتراهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر دعوا من لا يضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع فمنهم من يدعوا للخضر والياس ومنهم من ينادي أبا الخميس والعباس ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة ومنهم من يضرع إلى شيخ من مشايخ الأمة ولا ترى فيهم أحدا يخص مولاه بتضرعه ودعائه ولا يكاد يمر له بباله أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال فبالله تعالى عليك قل لي أي الفريقين من هذه الحثيثة أهدى سبيلا وأي الداعيين أقوم قبيلا وإلى الله تعالى المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة وتلاطمت أمواج الصلالة وخرقت سفينة الشريعة وإتخذت الإستغاثة يغير الله تعالى للنجاة ذريعة وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف وحالت دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف هذا وقوله تعالى : لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشكرين 22 في محل نصب بقول مقدر عند البصريين وهو حال من الضمير السابق ومذهب الكوفيين إجراء الدعاء مجرى القول لأنه من أنواعه وجعل الجملة محكية به والأول هو الأولى هنا واللام موطئة لقسم مقدر و لنكونن جوابه .

والمشار إليه بهذه الحال التي هم فيها أي والله لئن أنجيتنا مما نحن فيه من الشدة لنكونن البتة بعد ذلك أبدا شاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة والعدول عن لنشكرن إلى ما في النظم الجليل للمبالغة في الدلالة على الثبوت في الشكر والمثابرة عليه فلما أنجاهم مما نزل بهم من الشدة والكربة والفناء للدلالة على سرعة الإجابة إذا هم يبغون في الأرض أي فأجأوا الفساد فيها وسارعوا إليه مترامين في ذلك معنيين فيه من قولهم : بغى الجرح إذا ترامى في الفساد وزيادة في الأرض للدلالة على شمول بغيتهم لأقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والإستمرار وقوله سبحانه هو تعالى : بغير الحق تأكيد لما يفيد البغي إذ معناه أنه بغير عندهم أيضا بأن يكون ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على كل أحد كما قيل نحو ذلك قوله تعالى : ويقتلون النبيين بغير الحق .

وقد فسر البغي بإفساد صورة الشيء وإتلاف منفعته وجعل بغير الحق للإحتراز مما يكون من

ذلك بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع أشجارهم وحرق زروعهم كما فعل صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ببني قريظة .

وتعقب بأنه مما لا يساعده النظم الكريم لأن البغي بالمعنى الأول هو اللائق بحال المفسدين فينبغي بناء الكلام عليه والزمخشري إختار كون ذلك للإحتراز عما ذكر وذكر في الكشف أنه أشار بذلك إلى أن الفساد اللغوي خروج الشيء من الإنتفاع فلا كل بغي أي فساد في الأرض وإستطالة فيها كذلك كما علمت وإن كان موضوعه العرفي للإستطالة بغير حق لكن النظر إلى موضوعه الأصلي وقيل : إن البغي الذي يتعدى بغي بمعنائه لإتلاف والإفساد وهو يكون حقا وغيره والذي يتعدى بغي بمعنى الظلم وتقييد الأول بغير